

مقدمة :

نفس الإنسان أعقد ما فى هذا الكون ، وتقوم فى درجة تعقدها أعظم الأجهزة الإلكترونية وأكثرها تطوراً ، ويكفي قول المولى عز وجل " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا " لى ندرك من هو الصانع والمشكل لتلك النفس .

وسوف نحاول أن نغوص ونستكشف من خلال صفحات هذا الكتاب خبايا الذات وكيفية تصرفها فى مواقف مختلفة وأحداث متشابهة من خلال عمليات نفسية متنوعة ، وكيف رصد القرآن الكريم تلك المواقف وعبر عنها بإعجاز فائق واحاديث مأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، منها الصحيح أو الحسن ، لم أثبت من السند وإنما اعتمدت على جوهر الحديث كمفسر للآية القرآنية مستبعدا الأحاديث غريبة المضمون والمتون ، وكذلك دور الصحة النفسية بأراء علمائها المختلفة للوصول إلى السلوك التكيفي للذات فى تلك المواقف المتباينة وكيف أن الصحة النفسية وعلمها الذى نشأت أصوله على أيدي غريبة وجدت ضالته المنشودة بين آيات القرآن الكريم .

فالذات (النفس) شئ معنوى بالنسبة لنا يوجد داخل الإنسان، ولكن الذى لا خلاف عليه أنها تختلف عن الروح التى بها يحيا الإنسان، فالكائن البشرى مكون من جسد يتأثر بفعل الجاذبية الأرضية فلا يمكنه أن يغادر الأرض إلا فى ظروف معينة مثل ركوب الطائرات أو صواريخ الفضاء، وبداخل هذا الجسد روح لا نعلم عن تكوينها شئ كما قال الله تعالى " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " سورة الإسراء . الآية ٨٥ ، ولكنها أشبه بتيار الكهرباء الذى إن انقطع فنى الجسد وعاد إلى صورته الأولى من التراب الذى خلقه الله منه ، والروح تصعد وتهبط دون التقيد بصفات الجسد ، أما الذات (النفس) فهي المكون الثالث داخل الكيان البشرى .

فيذكر بعض العلماء أن الذات هي عبارة عن التركيبية التي تؤدي الوظائف المعرفية مثل الانتباه والإدراك والتفكير والتصور ، والوظائف الوجدانية مثل المشاعر والانفعالات والعواطف ، وكذلك الوظائف النزوعية مثل الحركة والكلام والإرادة .

ولعل قول الله تعالى " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " سورة آل عمران . الآية ١٨٥ ، يعنى أن هذه التركيبية الفريدة من صنع الله تكابد وتعانى من مسألة خروج الروح من الجسد ، ولكنها تظل متلازمة مع الروح فى العالم الآخر حتى تنعم برضا الله أو تشقى بالمعاصى التى أقترفتها فى الدنيا ، ويحضرنى قول الإمام محمد متولى الشعراوى فى شرح خواطره عن الموت " أن الإنسان حين يفارق الحياة بالموت يظل محتفظاً بوعيه النفسى من إدراك الأحداث التى تحدث حوله فى الدنيا ومن رؤية عالم الغيب وما به " .

ومن هذا نستخلص أن الذات (النفس) تذوق الموت بالانتقال من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ولكنها لا تقنى بل تظل فى وعى كامل حتى تتلقى بعد ذلك العذاب أو النعيم، ونختم كلامنا هذا بكلام سيد الرسل وأمامنا محمد النبى الكريم حينما وقف مخاطباً جنث المشركين بعد غزوة بدر قائلاً لهم " لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ " فقال عمر بن الخطاب يارسول الله أحدثهم وقد جيفوا (أصبحوا أجساد بلا أرواح) ، فقال المعصوم صلى الله عليه وسلم "والله إنهم أسمع لكلامى منكم" .

وهنا يقصد النبى أن وعيهم النفسى وإدراكهم لم يمت ، فالذات باقية على حالتها حتى تستقر إما فى الجنة أو فى جهنم ، ولا يهمنا معرفة التركيب المادى لها بعد مغادرة الروح للجسد ولا أين تكمن حتى تقوم الساعة وما هو المدى التى ترتبط به بالروح ، ولكن ما يعنينا فى المقام الأول أن نفهم طبيعتها ونكشف بعض أسرار تكوينها.

دكتور / فكري لطيف متولي